فتاوى المنار

هذا هذا الباب لاجابة اسئلة المشتركين خاصة ، اذ لا يسع الناس عامة ، ونشترط على السائل ان يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرمز الى اسمه بالحروف ان شاء ، واننا نذكر الاسئلة بالتدريج غالبا وربما قدمنا متاخرا لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما اجبنا غير مشترك لمثل هذا . ولمن مضى على سؤاله شهران او ثلاثة ان يذكره مرة واحدة فان لم نذكره كان لنا عذر صحيح لاغفاله

(تعدد صلاة الجمعة في البلد الواحد)

(س ٨) من السائل في الترنسفال

﴿ ياغياث المستغيثين اغثنا ﴾

ما قولكم دام فضلكم أيها العلماء الاجلاء في بلدة فيها جم غفير من المسلمين وهي دار حرب بعيدة عن بلد الاسلام اهلها عوام ضعفاء أصحاب حرف يتعيشون بها تحت سلطة الكفار وقهرهم مستحقين الرحمة والارشاد من اخوانهم المسلمين لاسيما علماؤهم يصلون صلاتهم الجمعة وغيرها في عدة مساجد متعبدين على مذهبين شوافع وأحناف فالاحناف يصلون صلاة الجمعة في مسجدين مستقلين لوقوع النزاع والمضاربة بينهم والشوافع يصلون الجمعة في ثلاثة مساجد واحد في طرف البلدة والآخران في الطرف الآخر لتنافر قلوبهم والنزاع الواقع بينهم كما هو دأبهم اذا اجتمعوا تنازعوا طلبا للرياسة وغيرها مع انه اذا اجتمعوا كلهم لا يسع لهم مسجد وعلى قول ابن الحق لا تسع لهم المساجد كلها وقد دخل في تلك البلدة جماعة من العلماء ما بين شوافع وأحناف من منذ ثلاثين سنة وزيادة وحثهم على اجتماع على جمعة واحدة لسكونهم في ذلك الزمن يصلون الجمعة في المساجد والبيوت فامتثل أهل البيوت وجمعوا مع أهل المساجد وعطلوا صلاتهم الجمعة في البيوت مع انهم كانوا شر ذمة وأولياء بالنسبة لاهل هذا الزمن الى ان ورد عليهم رجل فاضل صالح فاجتهد غاية الاجتهاد حتى جمع الشوافع على خطبة واحدة فكانت في البلدة خطبتان خطبة للشوافع وخطبة للاحناف غير ان الشوافع صاروا يصلون الجمعة في مسجدين كبيرين بالنوبة ودامت صلاتهم الجمعة هكذا أعني بالنوبة الا الآن الى ان حدثت فتنة عظيمة بين الشوافع واشتد

النزاع بينهم والمضاربة حتى رفعوا الامر الى الحكومة الانكليزية كما هو دأبهم كلما تنازعوا فاستقلت الطائفة المغلوبة بالجمعة فصلت للشوافع بجعتان وهكذا وقع بين الاحناف والشوافع فانقسموا على فرقتين فصارت في البلدة أربع جمع جمعتان للشوافع وجمعتان للاحناف ثم أنشأ الطرف الآخر البعيد جمعة للشوافع فجملة الجمع الواقعة الآن خمس ثم دخل علينا رجل من طلبة العلم وصلى معهم صلاة الجمعة ما ينوف عن ستة سنين ثم بعد ذلك حرم عليهم صلاة الجمعة وقال لهم صلاتكم الجمعة على تلك الحالة حرام عليكم وتركتكم اياها وذهابكم الى التشل أولى وأنفع لكم من صلاة الجمعة وعدل عن استدلال أهل مذهبه واستدل بقوله تعالى « يا أيها الذين آمنوا اذا نودي للصلاة من يوم الجمعة » الآية وقال لهم هذه الآية تدل على ان صلاة الجمعة لا تكون الا واحدة فبناء على ذلك تكون جمعتكم كلها حراما جمعة الاحناف والشوافع فامتنع نصف أهل البلد من صلاتهم الجمعة معتقدين حرمتها عليهم ان لم تكن واحدة فهل ما أفتى به ذلك الرجل صحيح ام لا وما حكمه شرعا أفيدونا ولكم الاجر والثواب عند الملك الوهاب

(ج) ان ما أفتى به هذا الرجل غير صحيح والآية لا تدل عليه بل تدل على خلافه فان الله تعالى يأمر من يسمعون النداء للجمعة ان يسعوا الى ذكر الله أي صلاتها وهذا يأمرهم ان ينصرفوا الى أعمال الدنيا المحرمة في هذا الوقت . نعم اذا امكن اجتماع مسلمي البلد في مسجد واحد من غير مشقة ولا حرج وجب عليهم ان يجمعوا (أي يقيموا الجمعة) فيه على المعتمد المختار ، فان من مقاصد الشرع اجتماع المسلمين في هذه العبادة ليتعارفوا على الخير والتقوى ، ولكن لا يقوم دليل على ان هذا شرط لصحة صلاتها كما يقول الشافعية . ولا خلاف بين هؤلاء وغيرهم من الفقهاء في صحة الصلاة في المساجد المتعددة للحاجة من غير اعادة صلاة الظهر بعدها ، والذي عليه العمل عندهم ان المساجد اذا تعددت لغير حاجة وجب اعادة الظهر لاترك الجمعة ، وفي ذلك نظر بيناه في المنار مرارا ولبعضهم فيه رسالة مطولة نشرناها في المجلدين السابع والثامن من المنار فمن أراد استقصاء البحث في هذه المسألة فليراجع هذين المجلدين وغيرهما من مجلدات المنار مستعينا على ذلك بفهارسها المرتبة على حروف المعجم . وهو يجد ذلك في حرف الجيم وحرف الصاد وكذا في حرف الباء عند كلمة البدعة وهي أول اسم الرسالة التي اشرنا اليها آنفا كما اتذكر الآن وأنا اكتب في السفر وليس معي من مجلدات المنار شيء

هذا وان من اقبح البدع ان يكون للشافعية مساجد خاصة بهم وللحنفية مساجد خاصة بهم ، فان هذا من التفريق بين المسلمين الذي هو شر سيئات التعصب المذاهب . وقد ذم الله الذين اتخذوا مسجد الضرار بقوله (والذين اتخذوا مسجداً ضرارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين) فقرن التفريق بين المؤمنين بالكفر . وهذا النوع من التفريق لم يحدث مثله في زمن الائمة بل ولا في الازمنة التي تقرب من أزمنتهم حتى بعد حدوث التعصب المذاهب . وقد كان السلف الصالحون رضي الله عنهم يختلفون في بعض المسائل الدينية ويعرف ذلك بعضهم من بعض ولكنهم لم يتفرقوا في الدين لاجل اختلاف الاجتهاد بل كان يعذر بعضهم بعضا ويرحم بعضهم بعضا ويهتدون بقوله عز وجل (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا) روي ان رجلا سأل الامام احمد - وكان يرى الوضوء من الحجامة - : أرأيت اذا احتجم الرجل ولم يتوضأ أأصلي وراءه أم لا ؟ فقال له : ويحك! أتأمرني ان انهاك عن الصلاة مع سفيان الثوري ومالك بن أنس ؟؟

وقد ذكر فقهاء الحنفية والشافعية الخلاف في هذه المسألة وعبروا عنها بقولهم : هل العبرة برأي الامام بحيث اذا كانت صلاته صحيحة في اعتقاده يجوز الاقتداء به ؟ أم برأي المأموم بحيث اذا كان يرى ان صلاة الامام غير صحيحة في اعتقاد نفسه لا يقتدي به وان كانت صلاته صحيحة في اعتقاده (أي الامام) وجعلوها مسألة خلافية. واذا راجعنا سيرة الصحابة والتابعين وتابعي التابعين رأينا ان عمل السلف كلهم على ان العبرة برأي الامام ولذلك كان بعضهم يصلي مع بعض على ما كان من اختلافهم في نواقض الوضوء وامثالها وفي بعض شروط الصلاة ، فلا تترك سيرة السلف الصالح ومنهم أئمة الامصار في الفقه كالاربعة المشهورين وغيرهم لاجل نظرية بعض المتفقهة المتأخرين. ثم انهم كانوا يتساهلون في مسائل الخلاف الاجتهادية كما فعل أبو يوسف حين توضأ من بئر وقعت فيها فأرة وصلى فقيل له في ذلك ومذهبه ان الماء ينجس فقال نأخذ بقول اخواننا من أهل الحجاز « اذا بلغ الماء قلتين لا يحمل الخبث » فنسأل الله ان يوفقنا جميعا للاقتداء بسيرة السلف الصالح

في العمل بكتاب الله وسنة رسوله (ص) من اقامة السنة وجمع الكلمة

***

﴿ قضاء الاستاذ الامام باجتهاده ﴾

(س ٩) من صاحب الامضاء بالعطف

(بسم الله الرحمن الرحيم)

فضيلة مولانا الأستاذ الفاضل الكامل السيد محمد رشيد رضا (متع الله المسلمين بوجوده)

السلام عليك ورحمة الله أما بعد فاني ممن يجل الاستاذ الامام جدا ويود من كل قلبه ان لا يذكر اسمه الا مقرونا بما يليق به من التجلة

بيد ان كثيرا ما أسمع مبغضيه يتشبثون بأنه كان يحكم بالقوانين الوضعية المخالفة للشريعة الغراء فأضيق ذرعا حيث أني مع تيقني براءة الاستاذ من أن يقدم على شيء قبل ان يعرف حكم الله فيه لا أجد لدي جوابا أقطع به السنة أولئك الشانئين لهذا ارغب اليكم ان تنشروا جوابا شافيا على صفحات منارکم الاغر ذودا عن مقام الاستاذ ورحمة بهؤلاء الذين كلما رأوا من علم شيئا يدق سره على افهامهم تسارعوا الى الوقوع في عرضه وإن كان من اساطين الملة ولي وطيد الامل أن يكون ذلك بأول عدد يصدر لا زلتم نبراسا للمسترشدين آمين كاتبه

تحريرا في ٢٠ ربيع الاول سنة ١٣٣٠ احمد علي الطباخ بالعطف

(ج) كان الاستاذ الامام يحكم باجتهاده في جميع القضايا كما هو حكم الشرع في القاضي اذ الاصل فيه عن جميع الفقهاء ان يكون عالما أي مجتهدا ، واجاز الحنفية تقليد الجاهل (اي المقلد) القضاء للضرورة أو بقيد وجود مفت مجتهد يفتيه كما علل الحكم بعضهم بذلك (وليس لدي شيء من كتبهم أرجع اليه الآن وانا مسافر) وقد اشار الى هذا صديقه الفاضل حسن باشا عاصم (رحمهما الله تعالى) اذ قال في تأبينه وقد ذكر سيرته في القضاء : انه كان من القضاة الذين يطلق الافرنج على آحادهم قاضي العدل والانصاف لانهم لا يتقيدون بنصوص القوانين الحرفية .

ولهذا لم يحكم بالربا قط وخالف القانون في مسائل كثيرة تعذر عليه فيها التوفيق بين نصوصه وما اداه اليه اجتهاده ودينه ، وكان في مثل هذه المسائل يتوخى الصلح بين الخصمين فان لم يمكن حكم باجتهاده ، وقد شكاه بعض من كان يكرهه من وجهاء الشرقية الى مستشار الحقانية مينا بعض المسائل التي خالف فيها القانون ، فسأله المستشار عن ذلك بينه وبينه من غير تحقيق سمي فقال له الاستاذ في بدء الجواب : هل القانون وضع لاجل العدل ام العدل وضع لاجل القانون ؟ فقال المستشار : بل القانون وضع لاجل الاستعانة به على إقامة العدل . فقال الاستاذ ان جميع القضايا التي ذكرها الواشي قد حكمت فيها بالعدل الذي يستقيم به أمر الناس ، وفصل له ذلك بما أقنعه ، ولم يكن يثق بمثل هذا من غيره . هذا ما علمته منه رحمه الله تعالى ومن العارفين بسيرته ويعرفه له كبار القضاة الاهليين المختبرين ، ولا يضر سيرة الاستاذ الامام طعن امثال من ذكرتم وقد طعن في الائمة قبله من هم خير منهم ، وقد روي عن ابي القاسم الجنيد شيخ الصوفية وامامهم رحمه الله تعالى انه قال لا يبلغ الرجل مقام الصديقين حتى يشهد الف صديق بانه زنديق

***

﴿ البابية ودين البهائية ﴾

(س ١٠) من طائفة ـ من طلبة المدارس العليا

جناب الاستاذ الفاضل

سلاما واحتراما ، وبعد فقد قرأنا في بعض الكتب الافرنجية الموضوعة حديثا أنه ظهر في بلاد العجم منذ ستين عاما رجل يقال انه هو المهدي المنتظر و بشر بمجيء نبي ويزعمون أن نبوته قد صحت فقد جاء رجل اسمه بهاء الله وآمن به خلق كثير من كافة الاديان وخليفته الآن هو ابنه عباس افندي نزيل مصر الآن فنرجو إيقافنا على حقيقة هذا المذهب الجديد وابداء رأيكم فيه بما انكم من يلجأ اليه في مثل تلك المسائل ولكم الفضل

(ج) البابية فرقة من الباطنية . والبهائية منهم يعبدون الرجل الملقب ببهاء الله . وقد بينا حقيقة أمرهم في مجلدات المنار الماضية ، والجاه زعيمهم عباس افندي القطر

المصري عدنا الى الكلام في بيان حالهم وذكرنا نبذا تاريخية من سيرة سلفهم الاسماعيلية والقرامطة فراجعوا هذا في المجلد الماضي فان اشكل عليكم بعد ذلك شيء من امرهم فراجعونا فيه

ثم ان مسألة كون نبينا محمد صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين والمرسلين على ثبوتها بنصوص الكتاب والسنة هي ثابتة بالعقل عند كل من يعرف حقيقة الدين الاسلامي ووجه حاجة البشر الى الدين مطلقا ، فان كتابه القرآن الحكيم وسنته في بيانه قد بينا للناس كل مايحتاجون اليه من أمر الدين في طور استقلال نوعهم ورشده بالعقل والعلم ، وقد كانت الاديان السماوية قبله موقتة كما بين ذلك المسيح عليه الصلاة والسلام في معرض البشارة به اذ قال مامعناه : انه لا يمكن ان يبين لمن بعث فيهم كل مايحتاجون اليه — أي لعدم استعدادهم — وان الذي يأتي بعده هو الذي يبين لهم كل شيء . لان الدين صار كالمخاطبين به على سنة الارتقاء ، وقد بين الاستاذ الامام هذا المعنى باجمال بليغ في رسالة التوحيد ، وذكرناه في المنار مرارا . وسنشرحه شرحا وافيا ان شاء الله تعالى في مقدمة التفسير التي تبين فيها كليات الاسلام بالتفصيل ووجه الحاجة اليها واكتفاء البشر بالاهتداء بها في الوصول الى منتهى الكمال البشري الممكن

(باب المقالات)

الجامعتان الاسلامية والعثمانية (*)

(١)

المسلمون أمة واحدة مؤلفة من شعوب وقبائل كثيرة مختلفة في المذاهب والأجناس واللغات ، والأقطار والحكومات ، لا تجمعها الا وحدة العقيدة وأخوة الايمان ، والعثمانيون امة واحدة مؤلفة من شعوب وقبائل كثيرة مختلفة في كل شيء حتى في الاديان والمذاهب لا تجمعها الا الوحدة العثمانية السياسية والوطنية اذ الممالك العثمانية كلها وطن عام لكل عثماني له في كل ولاية منها من الحقوق ما لاهلها ان

(*) نشرت هذه المقالة في مجلة سبل الرشاد التي تصدر في بغداد

عنه ان يقيم فيها ويجوز ان يغتصب مبوءاً عنها وان لم يكن مقيما فيها (١) .

للاسلام مزية في المملكة العثمانية ليست لغيره من الاديان فقد صرح القانون الاساسي بان دين الحكومة العثمانية الرسمي هو الاسلام وان سلطان العثمانيين هو خليفة المسلمين ، وبهذا يكون للمسلم الاجنبي الذي يدخل المملكة العثمانية سائحاً أو مهاجراً حقوق لا يشاركه الاجنبي غير المسلم فيها ، لان سلطان العثمانيين خليفته يجب عليه مراعاة أمره . والعثماني غير المسلم من الحقوق في هذه المملكة ما لا يشاركه فيه المسلم الاجنبي ، لان جميع احكامها تنفذ عليه دون المسلم الاجنبي الذي يلجأ الى وكلاء دوله في البلاد العثمانية .

ويجب على الخليفة ان يساعد المسلمين على إقامة أمورهم الدينية ولاسيما الدعوة الى الاسلام والدفاع عنه اذا قامت به طائفة أو طوائف منهم ، ولا يجوز له ان يساعد غير المسلمين على مثل ذلك وان كانوا عثمانيين ، وانما عليه ان يحمي حريتهم الدينية ويمنع غيرهم أن يعتدي عليهم فيها حسب ما قررته الشريعة الاسلامية العادلة .

ان من آثار عدل هذه الشريعة وحريتها ان غير المسلمين قد كانوا حتى في عصر الاستبداد الحميدي متمتعين بحريتهم الدينية والتعليمية على حين تصادر الكتب الدينية الاسلامية ويمنع طبعها ونشرها ، ولا يصادر ولا يمنع من كتبهم شيء ولا يوجد دولة اوربية تمنع المسلمين من حرية الدين والتعليم في بلادهم التي استولت عليها مثلما منحته الدولة العثمانية لليهود والنصارى في بلادها قديماً وحديثاً ، فهي في هذا أوسع حرية من انكلترة التي تعد واسعة الحرية في ذلك بالنسبة الى فرنسة وروسية ، فهي لا تسمح لمسلمي الهند ان يعلموا اولادهم ويربوهم في المدارس والمكاتب كيفما شاءوا بلا مراقبة ولا سيطرة ، كما تسمح الدولة العثمانية لليهود والنصارى في مدارسهم ومكاتبهم . ولو انصفت دول أوربة لاعترفت لخليفة المسلمين بحق سؤالها عن حرية المسلمين الدينية في ممالكها ورفعت حمايتها ، كما يسألها حكومته عن معاملة النصارى من رعيته في امر دينهم ودنياهم ، انه ليس هناك من ملوك أوربة صفة دينية في ملته مثل صفة خليفة المسلمين ، ولكنهم قوم لا ينصفون .

ان الدول الأوربية المستولية على الملايين من المسلمين يوجس خيفة من ذكر المسلمين لدولة الخلافة ومن دخول أي مسلم عثماني في البلاد التي يقيم فيها اولئك المسلمون فلا يوجد بين احد منهم صلة او رابطة ما بالدولة ومن يعلمن أنها (اي

(١) الى هنا عبارة الاقامة فانها ... من الاقامة ال ... [illegible]

دولة الخلافة) لا تسعى الى ذلك ، ولكنهن يسعين دائماً الى بث نفوذهن في بلادها بكل واسطة ، ثم إن جرائدهن تشكو من الجامعة الاسلامية وتشنع عليها وتدعو الى الحذر منها ونحن لا نشكو من دسائسهم وجدهم في بث نفوذهم في مكدونية وألبانية والاناطول والعراق وسورية وفلسطين — فهذه هي حقيقة الجامعة الاسلامية من حيث علاقتها بالدول الأوربية .

أما الدول والامارات الاسلامية فوجودها مناف للجامعة الاسلامية ، لان الاسلام يوجب ان يكون للمسلمين كلهم حكومة واحدة يرأسها إمام واحد يديرها بالشورى بين أهل الحل والعقد ، لا بالاستبداد ، ولكن بني أمية حولوا الحكومة الاسلامية في القرن الاول عن أساس القرآن وبنوها على اساس العصبية والقوة ، فصار كل صاحب عصبية قوية يؤسس لنفسه ملكا ، وصار ملوك المسلمين يحارب بعضهم بعضا لأجل توسيع دائرة الملك كما يحاربون الكفار بلا فرق ، ثم نأرثت بينهم الاحقاد والاضغان ، ورسخت العداوة والبغضاء حتى صار بعضهم يعين الاجانب الطامعين في ملكهم كلهم على بعض ، وما استولت كل من انكلترة وروسية وفرنسة على عشرات الملايين من المسلمين الا بمساعدة المسلمين فليعتبر العقلاء بهذه الجامعة الاسلامية التي تنهضنا بها أوربة ونحن على قيضها في تفرقة اسلامية سياسية تقسمها تفرقة اسلامية مذهبية .

مرت القرون الطوال على هذه الفرقة والعداوة ولم يظهر في المسلمين ملك عاقل ولا وزير محنك ولا زعيم مصلح يضع للحكومات الاسلامية المتفرقة نظاماً يربط بعضها ببعض في الامور الدينية والحربية مع حفظ استقلال كل منها في الامور الداخلية — لم يهتدوا الى هذا بنور بصيرتهم ولا وفقوا الى اقتباسه عن غيرهم وقد رأوا مثاله الصالح في الوحدة الجرمانية وكذا في الولايات المتحدة الامريكية . وقد قام في أواخر القرن الماضي المصلح الحكيم السيد جمال الدين الافغاني يحضهم عليه ، ويبين لهم وجه الحاجة بل الضرورة اليه ، فكان جزاؤه من ملوكهم وامرائهم الاضطهاد والنفي والابعاد ، ثم الاحاطة به في القسطنطينية ، الى أن وافته المنية (رحمه الله تعالى وأحسن جزاءه)

لو وفق رجال المسلمين لهذا لكان لهم مملكة (أو أمبراطورية كما يقال في عرف هذا العصر) جناحها الايمن حكومة مراكش على شاطىء الفاموس الغربي (الاتلانتيك) وجناحها الأيسر حكومتا الافغان وايران وقلبها الحكومة العثمانية التي

كانت تكون منها ـ كبروسية في الوحدة الجرمانية ـ مركز السلطة العليا والقيادة العامة بل لو وقعوا لهذا قبل هذا العهد الاخير وافقده مثل السلطان سليم ياوز الذي شعر بالحاجة اليه ولم يعرف طريقه لدخل في هذه الامبراطورية جميع ممالك الهند وتركستان والقوقاس وبخارى ونصف أفريقية الشمالي برمته ولكان أخذ بقية أفريقية وقسم كبير من الممالك الشرقية بعد ذلك أمراً ميسوراً . فكر السلطان سليم في وجوب جعل الممالك الاسلامية كلها مملكة واحدة ولكنه كان مخلوقاً من طينة الحرب وشديد الضراوة بسفك الدم فرأى أن ينفذ ذلك بحد الحسام ، ولم يخطر في باله ما أشرنا اليه من النظام ، وماذا كانت عاقبة ذلك التفرق والانقسام ؟ استولت الدول الاوربية على أكثر الممالك الاسلامية حتى أنهم في هذين العامين اقتسموا مملكة ايران بالفتح السلمي ووضعوا به مملكة مراكش تحت الحماية الفرنسية برضاء سلطانها المجهول الذي وجروا على الدولة العلية ففتحوا عليها باب الفتح الحربي ـ فهذه هي حقيقة الجامعة الاسلامية من حيث علاقتها بحكومة المسلمين وان في ذلك لعبرة للمعتبرين.

***

وأما خبر الجامعة الاسلامية فيما بين المسلمين انفسهم فانا لا نزال نرى السواد الاعظم منهم في كل قطر من أقطار الارض يشعرون بالاخوة الاسلامية العامة ، فيسر بعضهم لما يصيب بعضاً من حسنة ، ويتألم لما يصيبه من سيئة ، واذا حل الشرقي منهم في أرض الغربي أو الغربي في أرض الشرقي يلقى من اخوانه المسلمين أهلا بأهل وجيراناً بجيران ، وكثيراً ما يفضلون أخاهم الغريب على مثله الوطني . فان كان عالماً بالغوا في تعظيمه والتلقي عنه ، وان كان تاجراً تسابقوا الى ترويج تجارته ، وان كان سائحاً تباروا في إكرامه وضيافته ، وان كان فقيراً لم يقصروا في بره ومعونته ، كان يكون هذا بين الافراد ، فسرى في هذا العصر الى الشعوب والامم ، فصار كل أهل قطر يهتمون بأمور اخوانهم العامة في سائر الاقطار على قدر حظهم من معرفة السياسة والشؤون العامة ، وهذا ما تراقبه دول الاستعمار وينظرن اليه بالمناظير المكبرة للصغير والمقربة للبعيد ، وهو لم يجاوز الشعور الروحي ، الا الى قليل من الامانة المالية ، توجه الى الدولة العلية ، باسم دولة الخلافة الاسلامية

على ان هذه الاخوة الاسلامية لم تسلم من الآفات المفسدة ، والعلل المفرقة ، التي تحمل المرء على ان يفر من اخيه ، وأمه وأبيه ، وعشيرته التي تؤويه ، وأول هذه الآفات اختلاف المذاهب والتفرق في الدين المنافي لاصل الاسلام ، وكان أشد ضرراً اختلاف

أهل السنة والشيعة ، وهذا الاختلاف والتفرق ينافي أصل الاسلام المبني على الوحدة والاخوة ، وقد قال الله تعالى (الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم في شيء) وقال للمؤمنين (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا ـ الى ان قال ـ ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ماجاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم)

الاسلام دين التوحيد والالفة ، والاخوة والمحبة ، لاجدال فيه للشحناء ، ولا موضع فيه للعداوة والبغضاء ، وانما هي السياسة لبست لباس الدين ، ففرقت كلمة المسلمين ، كانت الشيعة في العصر الاول حزباً سياسياً ، لا مذهباً دينياً ، وقد كان الاسلام قائما على رأي هذا الحزب ان علياً المرتضى هو أحق بالخلافة من غيره ، ووجد من الانصار الكرام من قال نحن احق بهذا الامر من المهاجرين ، ومن قالوا : منا أمير ومنكم أمير ، ومن كان يرى ان أبا بكر الصديق أحق بالامر ، وقد غلب رأي هؤلاء وحزبهم ، ولما كان الاسلام يومئذ قائما على صراطه لم يحدث هذا الخلاف تفرقاً في الكلمة ولا شقاً للعصا ، لان جمهور أهل الحل والعقد من أهل العصر الاول وهم علماء الصحابة والسابقون الاولون منهم رضي الله تعالى عنهم ، كانوا يعلمون انه ليس بعد الكفر ذنب أضر ولا أقبح من التفرق والاختلاف ، وان من يرى انه أحق بالامر اذا تركه لمن هو حقيق به يكون أولى من مطالبته به مطالبة تفضي الى التفرق والاختلاف . لهذا كان علي أشد نصير وظهير لابي بكر ومن بعده ، فما يرى حزبه انه هو أولى به ، فهلا سار المتأخرون من شيعته على هديه والتأسي بعمله ؟ انهم لم يفعلوا ، ولماذا لم يفعلوا ؟ انما سبب ذلك السياسة ودسائس المجوس وجمعياتهم السرية التي كانت تعمل على محو الاسلام لازالة سلطان العرب الذين أزالوا ملكهم

كان بين الفرس والعرب قبل الاسلام عداوات وحروب ومفاخرات يحقر بها كل منهما الآخر ويفضل جنسه على جنسه ، ولذلك مزق كسرى كتاب النبي صلى الله عليه وسلم دون سائر الملوك الذين دعاهم (ص) الى الاسلام فدعا عليه بأن يمزق الله ملكه ، وكان أبو بكر هو الذي جهز الجيش لقتال الفرس وتم فتح بلادهم في خلافة عمر في أقرب وقت اجابة لدعوة النبي (ص) فعلم ذلك على القوم ورأوا ان الاسلام قد أعطى العرب قوة من الوحدة والعقيدة لا تقاوم بقوة مثلها فلجئوا الى الحيل والدسائس لافساد أمر الاسلام وتفريق كلمة العرب فألفوا الجمعيات السرية

لذلك ، واظهر كثير منهم الاسلام لاجل تنفيذ مقاصدهم ، فأول شيء فعلوه هو قتل الخليفة عمر قائم بلادهم وجامع كلمة المسلمين بسياسته الحكيمة وعدله الشامل ، ووجدوا تفريق الكلمة سهلا واسعا وهو الخلاف في أمر السلطة والحكم ، واتسع لهم الميدان عند ما صار الامر في يد بني أمية ولا سيما الجاهرين منهم بالفسق ، والمسرفين في سياسة الظلم ، كيزيد وكثير من بعده ، فكان أكثر المسلمين في باطنهم من شيعة آل علي وهم آل رسول الله (ص) لما كانوا عليه من الصلاح والتقوى ، فصارت جميات المجوس تبث في قلوب الناس الغلو في تعظيم علي وآله وحبهم ، وفي تحقير أعدائهم وبغضهم ، ولقبوا الخلفاء الثلاثة وكبار المهاجرين الاولين مع فساق بني أمية وظلمتهم في سلك أعدائهم ، واتجهوا في ذلك الى تكفيرهم ، والتقرب الى الله تعالى بسبهم ولعنهم ، ومن غلا في تعظيم شيء أو شخص غلا في تحقير ضده وخصمه ، وذهب في ذلك الى غير غاية

وكان للمجوس في ذلك عدة مقاصد يتوسلون بها الى غايتهم من افساد دين الاسلام وازالة ملك العرب (احدها) تشكيكهم في اصل الدين بزعمهم ان جمهور الصحابة (رض) قد ارتدوا عن الاسلام وحرفوا القرآن وحذفوا كثيراً منه ، وقد راجت دسيستهم هذه في سوق جهلة الشيعة وغفلوا عن كونها تتضمن الطعن في امير المؤمنين علي كرم الله وجهه فانه لا يشك احد منهم ولا من سائر المسلمين انه كان يحفظ القرآن كله ، فلماذا لم يظهره ولو في مدة خلافته ، ولم يقاتل عليه كما قاتل معاوية على ما هو دونه ، وهو هو الذي لا يخاف في الحق احداً ولا يخشى في الله لومة لائم

(ثانيها) نقض عرى الاسلام عروة عروة ، وهدم أركانه ركناً ركناً ، بزعمهم ان له ظاهرا وباطنا ، وان معرفة باطنه الذي هو مراد الله من عباده لا يمكن ان يؤخذ إلا من ائمة اهل البيت المعصومين ، ورضوا لذلك أصول مذهب الباطنية أو دين الباطنية الذي يتدرجون به من القول بعصمة الائمة الى القول بألوهيتهم الى الالحاد وانكار النبوة البتة ، وقد راجت هذه الاضاليل عند بعض غلاة الشيعة فظهر منهم الاسماعيلية والقرامطة والنصيرية وآخر فرقهم البابية البهائية وغير البهائية وكلهم يعبدون البشر من دون الله

(ثالثها) تأسيس ملك باسم بعض أئمة آل البيت ، قوته وعصبيته من الفرس

ومن يستجيب لدعوتهم من سائر المسلمين ، والتوسل بذلك الى ازالة الملك من العرب ثم تحويله الى الفرس

ومن آثار عناية الله تعالى بالاسلام انه لم يكن لأولئك المجموع من المكائدين جهة وحدة تجعل عليهم يد بعضه بعضاً ، فاهتدى طلاب الملك من العباسيين الى مقاعد السياسيين منهم فسخروهم لخدمتهم وحولوهم عن العلويين حتى اذا ما ظفروا بالامر تركوا بالزعيم الفارسي العظيم ابي مسلم الخراساني ، ثم قتلك الرشيد بالبرامكة الذين سلكوا في الكيد طريقاً آخر . وكان الاسلام ينتشر في الفرس بقوة قوته من جهة وقوة استعدادهم له من جهة أخرى فصار أكثر الفرس من المؤمنين الصادقين فتآخوا مع العرب بالاخاء الصحيح لقلة الدين على السياسة ، وانتشرت دعوة الباطنية الكفرية في غير بلاد الفرس وقام بها أمم راجت في بلادهم فتأسست دولتهم في المغرب وظهرت في مصر شيعية في الظاهر كفرية في الباطن ، ثم قضت عليها الدولة الايوبية ، ولم يبق منها الا مثل ما كان في الشرق من الدعوة الخفية . وصارت الشيعة الظاهرية مذهباً دينياً ، بعد ان كانت حزباً سياسياً ، فأكثرهم وهم الامامية الاثنى عشرية لا يتوسلون بمذهبهم الى اقامة امام علوي لان الامام الثاني عشر من أئمتهم قد اختفى وهم ينتظرون ظهوره بالخوارق والتأييد الالهي قرناً بعد قرن فلا يستعدون لذلك بشيء ، ويرى بعض السياسيين ان هذا كان بدسيسة من العباسيين . واقل فرقي الشيعة الظاهرية الكبريين عدداً وهم الزيدية ما زالوا يقيمون لهم اماماً علوياً زيدياً بالانتخاب ، وقد قاتلتهم الدولة العلية على ذلك فكانت الحرب بينهما سجالاً منذ أربعة قرون الى أن وفقهم الله في العام الماضي للصلح والاتفاق

ونجمل القول في مسألة شيعة علي وآله عليهم الرضوان والسلام انها كانت حزباً سياسياً كان عدده قليلا مدة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ثم كثر حتى صار السواد الاعظم من المسلمين على حب الآل وتفضيلهم منذ صار الملك في بني أمية ، ولكن الملك لم يعد منوطاً بالحب والاعتقاد بل بالبراعة في تكوين العصبية ، وبذلك انتقل من الامويين الى العباسيين والفاطميين وملوك الطوائف ولو كان المجوس الذين بثوا دسائسهم في الشيعة مجمعين على جعل السلطة في آل البيت لقدروا ولكنهم كانوا مذبذبين لان لهم غرضاً آخر

ولما صارت الشيعة مذهبا دينيا فشافيهم اعتقاد ان كل من ليس على مذهبهم فهو خصم لآل البيت وعون على إضاعة حقهم في الخلافة ، وبهذا صار الفرق بين طائفتين

الطائفتين من المسلمين ، مدعوما بشبهات من الدين ، وصارت السياسة تذكي نارها كما وقع بين العثمانيين والايرانيين ، ولم يقم من علماء المسلمين احد يبحث عن الحقيقة بالاستقلال والانصاف ويبين للفريقين بالحجج الناصعة حقيقة الامر وأنه لا موجب ولا مسوغ للعداوة وان هذا التفرق مفسدة للدين ، ومضعف لجميع المسلمين ، ولا فائدة فيه الا لفئة بعض الملوك والأمراء الجائرين .

وقد آن لنا الآن أن ندرك ذلك ونغض النظر عن الماضي كيفما كان ، ويعذر بعضنا بعضا في رأيه واعتقاده ، ونجعل الخلاف فيه كالخلاف في مسائل الفنون اللغوية ، والعلوم الرياضية والكونية ، لا يوجب تفرقا ولا عداوة ، كما كان سلفنا الصالح حتى في فهم المسائل الدينية ، ثم نعمد على رفع عدوان الغاصبين على ديننا وسلطتنا ، والساعين الى استعبادنا واستذلالنا ، الذين بثوا الدعاة لتنصير كل مسلم من سني وشيعي ، وعقدوا المحالفات لازالة الملك الايراني والعثماني ، وهم مختلفون في المذاهب كاختلافنا بل اشد من اختلافنا ، ولكنهم متحدون في المصالح المشتركة بينهم والضارة بنا ، فعلام تتفق الأمم والدول علينا ونحن لا نزال مختلفين ، وكتابنا ينطق علينا بالحق مبيناً لنا ان الاختلاف والتفرق من صفات الاشقياء المخذولين ، والوفاق والاتحاد من صفات الموفقين المرحومين ؟ (ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك) .

(الآفة الثانية من آفات الجامعة الاسلامية ، عصبية الجنسية الجاهلية) ألف الاسلام بين جميع المهتدين به من العرب والعجم ، بل وضع اساس الوفاق بين جميع الشعوب والامم ، وقد كانوا يتعادون بعصبية النسب القريب ، وان جمعتهم اللغة والوطن والنسب البعيد ، فلم تكن العداوة بين العرب والفرس ، الا دون العداوة بين الاوس والخزرج ، فأنزل الله تعالى (يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم) وعلمه النبي صلى الله عليه وسلم للناس في حجة الوداع وامر أن يبلغه الشاهد للغائب ان لا فضل لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي الا بالتقوى ، ولهذا كان المؤمنون في الصدر الاول اخواناً وظلت هذه الاخوة بينهم سبباً لنمو الاسلام وانتشاره عدة قرون على ما كان يدس في بلادهم من دسائس الزنادقة والمنافقين ، فلم يكن العرب يعطون حق البرز في العلم من العجم ، ولا يستنكفون ان يأخذوا عنه ويفضلونه على من دونه ، ولا يبالون ان يرفعوه الى مقام الرياسة والامامة لعلو مقامه ، فتذكر مقام ابي حنيفة في الفقهاء والبخاري في المحدثين ، وسيبويه في النحاة ، والزمخشري في البلغاء والمفسرين ،

ثم تذكر مقام الوزراء من العجم عند الخلفاء من العرب، ثم مقام الملوك الاعاجم من السلاجقة والاكراد والترك الشافعيين ومن قبل الشافعيين ، وناهيك بنور الدين وصلاح الدين ، الذين نعدهم في الدرجة التي تلي درجة الخلفاء الراشدين

ثم لما زاد ضعف الاسلام وجهل اهله به ، وانحرافهم عن صراط هدايته ، حدثت فيه بدعة العصبية الجنسية واللغوية ، وكان اشدها قبحاً واخشاها عاقبة ما كاد يتفاقم من التنافر بين الترك والعرب الشافعيين وهما ركنا الدولة وقوامها ، لولا ان تداركه بعض العقلاء ، وبين خطر مغبته الحكماء ، ثم فطنت الحكومة لوجوب تلافيه ، وعدم الاستهانة به .

واني ارى ان ما سرى الينا من الآراء والافكار الاوربية في السياسة ونظام الاجتماع التي لا تصلح لنا ، ولا نشبه فيها غيرنا ، هو الذي زين لقادة الافرنج بغير هدى ولا بصيرة ان يتعصبوا لقومهم الذين تجمعهم اللغة تعصباً يجعل رابطة الاخوة بينهم وبين اخوانهم في الجامعة الدينية أو الجامعة الاسلامية أو بعضها ، وأرى ان ساسة الافرنج القائمين فينا هم الذين يزينون لتلاميذهم منا أن يعملوا لهذه العصبية عملها ، وان يجعلوا نهضتهم الاجتماعية نهضة قومية جنسيتها وجامعتها لغوية ، لا دينية ولا سياسية . ولولا هذا لما قام مسلمو الالبانيين يدونون لغتهم بالحروف اللاتينية وطالما بينت في مجلتي (المنار) مخالفة العصبية الجنسية لهدي الاسلام وحذرت منها . وقد رأيت في سياحتي في الهند ان مسلمي الهند ابعد الناس عنها ومن اقواهم شعوراً بالجامعة الاسلامية المضادة لها . اذا كانت هذه البدعة الاوربية قد رسخت في بعض الشعوب الاسلامية حتى صاروا يرون انه لا بد لهم منها فعليهم ان يتقوا ضررها فلا يجعلوا فيها السعي والاجتهاد في ترقية قومهم ، الى التقصير في احكام الروابط التي تربطهم بغيرهم : فلا ينسى الالباني (مثلا) ما يجب عليه من الحقوق الدينية لاخوانه المسلمين ، وهو ما اشرنا في هذا المقال اليه ونوهنا به ، ولا ما يجب عليه من الحقوق السياسية والاجتماعية لاخوانه الشافعيين ، وهو ما سنشير اليه في القسم الثاني من هذا المقال ونحث عليه . بل يجب عليه قبل كل شيء ان لا ينسى حقوق الدولة العلية التي لا حياة له الا بحياتها ولا عزة له الا بعزها ولا شرف له الا بشرفها بل اقول منذ الآن انه يجب على كل شعب مسلم يجد ويجتهد في ترقية نفسه أن يقصد بذلك ترقية دولته ولكن يشعر نفسه دائما انه عضو منها وانه لا حياة له الا بسلامتها والاستعداد لها

(الآفة الثالثة من آفات الجامعة الاسلامية نزغة الوطنية الشيطانية) وامعن بهذه الوطنية مابثه بعض جرائد الحزب الوطني بمصر وهي وطنية مذبذبة تنافي اخوة الاسلام لانهم يعدون بها المسلم الذي يقيم بمصر دخيلاً لايشرفونه بلقب المصري ولا يساوونه بالمصريين، ولا يرضاها القبط الذين هم من سكنة مصر الاولين، ولا غيرهم من المهاجرين العثمانيين، وقد اثرت وساوس تلك الجرائد في نفوس بعض قرائها الذين يحسنون الظن بكل مايكتب فيها فصاروا ينفرون من الغريب وان كان مسلماً قرشياً حباً لمصر واهلها ولحبهم واحترامهم اختارها على بلاده وجعلها وطناً له، ونحمد الله اذ وقى من تعلقهم السادة السواد الاعظم من المصريين فلا يزال الشعور بالجامعة الاسلامية يقوى ويسمو فيهم فتراهم على مشرب الانصار الكرام يحبون من هاجر اليهم ويهتمون بامر اخوانهم المسلمين البعداء عنهم . (بقي المقال الثاني ينشر في العدد التالي)

كتب في بغداد باقتراح واليها جمال بك

نظرة في الجزء الثاني (*)

من كتاب تاريخ آداب اللغة العربية

« لحضرة الفاضل جرجي افندي زيدان »

يتفق جمهور القراء بمصر على ان حضرة الفاضل جرجي افندي زيدان من أعظم الكتاب نشاطا واجتهاداً ، وأسرعهم ترجمة وتأليفا ، وأكثرهم قصصاً وكتبا ، غير انهم لا يتفقون على ان هذه القصص والكتب محررة العبارة مضبوطة الرواية منقحة الوقائع مصححة الاحكام .

وأنا مع جمهور المتفقين في الأمر الأول ، ولست مع كل المخالفين في الأمر الثاني ، وانما انا مع من ينصف الرجل فلا أجحد فضله وتحبيبه المطالعة الى كثير من طلاب العربية بكتبه السهلة التناول ، وان كنت أمقت تهوره واستهتاره في أمور ولو أتيح لكل كتاب من كتبه ناقد منصف يملأ للملأ مايزل به قلمه لتحرز القراء من الوقوع في خطئه ولا تفقوا بصوابه ، كما ينتفع المؤلف ايضا بذلك بتصحيحه عند

(*) بقلم الاستاذ الشيخ أحمد عمر الاسكندري